تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 41- سورة مريم | من الأية 37 إلى 67

عبدالرحمن العجلان

والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا للذين امنوا قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا - 00:00:00

وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل هم احسن اثاثا ورئيا يقول الله جل وعلا واذا تتلى عليهم تتلى عليهم اي على الناس على المؤمنين والكفار اياتنا على وحدانية الله جل وعلا - 00:00:36

وانه المستحق للعبادة وانه لا يصح ان يشرك معه غيره بينات واضحات لا خفاء فيها قال الذين كفروا للذين امنوا سمع الايات المؤمنون والكفار عند سماعها قال الذين كفروا للذين امنوا - 00:01:19

اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا قال الكفار للمؤمنين اينا واياكم احسن مسكنا ومقر ونديا مجلس من يقول ذلك عظماء وكبراء واغنياء الكفار يقولون ذلك لفقراء المؤمنين الذين هم في شظف العيش - 00:02:16

وخشونة الملبس وفقر الحال ايات الله جل وعلا واضحة جلية لا يستطيع مخلوق ان يعارضها او ينتقد عليها او يجد له مدخلا للنيل منها وغرض الكفار تشكيك فقراء المسلمين في دينهم - 00:03:19

وصدي من يريد الدخول في الدين الاسلامي لما كانوا لا يستطيعون معارضة الايات قارنوا بين حالهم من الغنى وسعت المال وقوة الجاه وبين فقراء المسلمين فالمقام هو المسكن وفيها قراءتان - 00:04:08

اي الفريقين خير مقاما وقراءة اخرى اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا والندي هو المجلس الذي يجتمع فيه القوم للتشاور ولما يريدونه من الامور الكبار ومنه دار الندوة يعني الاجتماع - 00:05:02

فهم يقولون لو كان دينكم صحيحا وانتم على حق والله يحبكم لما فظلنا عليكم في المساكن والاموال والجاه فهم ما استطاعوا معارضة الايات ولن نيل منها لانها بينة واضحة جلية - 00:05:42

وانما ارادوا التشكيك بالمقارنة بين خبراء المشركين وبين ضعفاء المسلمين وفقرائهم وقد سبقهم لذلك نظراؤهم من معارضي ومعاندي الرسل حينما قال الملأ من قوم نوح عليه السلام انؤمن لك واتبعك الارذلون - 00:06:26

فالكفار يقولون للمسلمين لو كان الله راض عنكم وانكم على حق لما فضلنا عليكم ولكنتم انتم احسن حالا منا لكن الواقع اننا احسن حال منكم فنحن على حق وانتم على باطل - 00:07:19

هذا لسان حال الكفار نحن على حق بما اعطانا الله وانتم على باطل لما حرمتم والضمير في عليهم واذا تتلى عليهم للعموم المسلمين والكفار وبينات حال من نائب الفاعل الذي هو - 00:07:49

اياتنا قال الذين كفروا للذين امنوا. قال الكفار للمؤمنين اي الفريقين المراد بالفريقين فريق المؤمنين وفريق الكفار اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا مقاما وناديا تمييز قال الله جل وعلا في الرد عليهم - 00:08:21

وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورقيا لا يظنون ان ما اعطوا من الدنيا يمنع من تعذيبهم واهلاكهم اذا عصوا امر الله فكم بمعنى كثير كم خبرية كم اهلكنا قبلهم قبل كفار قريش - 00:09:07

من قرن القرن لفظه مفرد ومعناه الجمع كثير من القرون اهلكناها قبلهم في الزمن هم احسن اثاثا اولئك القرون السابقة اعطوا ما لم

يعط كفار قريش فهم احسن اثاث والمراد بالاثاث - 00:09:58
عموم الاموات من ابل وبقر وغنم وتجارة وامتعة وقيل المراد بالاثاث هو عدة البيت وما يحتاج اليه وقيل المراد بالاثاث الفراش خاصة وحمله على العموم اولى والله اعلم اساسا ورؤية رؤية - 00:10:45
رؤية فيها قراءتان ريا ورؤيا بهمز وبدون همز مع الياء المشددة والمعنى اهلكنا قبلهم قرونا كثيرة هم احسن من كفار قريش اساسا ومرأى منظر ما منعهم ما هم فيه من الاموال - 00:11:37
والامتعة وحسن المظهر كل هذا لم يغني شيئا لما عصوا امر الله جل وعلا والله جل وعلا يقول ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة - 00:12:32
ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين ويقول صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة - 00:13:07
من سقى كافرا منها شربة ماء والله جل وعلا يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ويبتلي عباده بالاموال والاولاد ليظهر رأي عين والا فان الله جل وعلا لا تخفى عليه خافية - 00:13:40
ليظهر رأي عين من يشكر نعمة الله جل وعلا ويستعين بها على الطاعة ومن يكفر نعمة الله ويستعين بها على المعصية فتكون للشاكر زيادة في ثوابه وتكون للكافر بها قيادة في عقابه والعياذ بالله - 00:14:11
وقد يحرم العبد من الدنيا وهو يحبه ليزداد ثوابه بالصبر والرضا والاحتساب فيما يصيبه من لعوى وشدة عند الله جل وعلا والنبي صلى الله عليه وسلم وهو افضل الخلق على الاطلاق - 00:14:41
ربط على بطنه الحجر من الجوع وربما ربط حجرين وقد تمضي الاشهر كما قالت عائشة رضي الله عنها نرى الهلال ثم نرى الهلال ثم نرى الهلال وما اوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار. للطبخ - 00:15:27
ما هناك شيء يطبخ ونام صلى الله عليه وسلم على الحصير حتى اثر في جنبه عليه الصلاة والسلام ما له فراش وطي عسير لين من نام على الحصير من الخوص - 00:15:55
واثر ذلك في جنبه عليه الصلاة والسلام لما رأى ذلك احد الصحابة تأثر وقال انت يا رسول الله في هذه الحالة وكسرى وقيصر في النعيم فقال اما ترضى واظن المتكلم هو - 00:16:16
عمر اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة فالمقارنة في حال الدنيا مقارنة خاطئة لا يقارن الا جاهل فليست مقياس فليس العطاء دليل الرضا كما ان الحرمان ليس دليلا على السخط - 00:16:42
فرد الله جل وعلا على الكفار في قوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن كثير من العصاة والطغاة قبلهم كانوا احسن منهم حالا اهلكهم الله جل وعلا بسبب اعراضهم - 00:17:15
عن متابعة الرسل وفي هذا نذارة للكفار لانهم ان لم يتبع محمدا صلى الله عليه وسلم سيحل بهم ما حل باسلافهم وقد حصل ذلك فاهلك الله صناديد قريش لما عتوا - 00:17:43
وتمادوا في كفرهم اهلكهم الله جل وعلا في بدر ونصر الله جل وعلا رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يقول الله جل وعلا كل من كان في الظلالة فليمدد له الرحمن مدا - 00:18:08
حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا واظعف جندا وهذا رد على المشركين يقول الله جل وعلا قل يا محمد من كان في الضلالة - 00:18:35
فليمدد له الرحمن مدا فليمدد نطلب ونرجو من الله وندعو وامنوا على دعائنا من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عن ابي جعفر - 00:19:05
ابن جرير رحمه الله هذه مباهلة للمشركين والمباهلة اذا اختلف فريقان اجتمعوا ودعوا ان الله ينتقم من المبطل وينصر المحق وهو صلى الله عليه وسلم في هذه الاية على قول الامام - 00:19:46

ابي جعفر ابن جرير يدعو كفار قريش للمباهلة كما دعا اليهود للمباهلة ودعا النصارى للمباهلة فابى الجميع ان يباهلوا لانهم يعرفون في حقيقة نفوسهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم محق - 00:20:29

وانهم مبطلون قل من كان في الضالة فليمدد له الرحمن مدا يعني قل تعالوا ولندعو من كان في الضالة انا امل من الله جل وعلا ان يمده في الدنيا بالمال - 00:21:05

والولد ويمهله حتى احد اجلين ثم يأخذه اخذ عزيز مقتدر فليمدد له الرحمن يعطيه ما يريد ويمهله وذلك ان الدنيا لا قيمة لها عند الله حتى يمد له ويعطيه ما يريد الى هذا الاجل - 00:21:33

حتى اذا رأوا ما يوعدون اما كذا واما كذا اما العذاب واما الساعة وقد عجل الله لهم العذاب والخزي في الدنيا قبل الاخرة فقتل من صناديدهم سبعون ورموا في القليب في بدر - 00:22:15

وخاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد ثلاثة ايام من قتلهم ناداهم وهم جيف بالقليب في بدر يقول هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا - 00:22:55

قال الصحابة رضوان الله عليهم يا رسول الله كيف تخاطبهم وقد جيفوا قال ما انتم لاسمع لما اقول منهم الا انهم لا يستطيعون جواب او كما قال صلى الله عليه وسلم - 00:23:24

فليمدد له الرحمن مدا يعطيه ما يريد حتى اذا رأوا ما يوعدون لان الله جل وعلا توعدهم ان لم يؤمنوا وبين ان الوعيد اما ان يعجل في الدنيا بالعذاب بالقتل والاسر - 00:23:47

واما ان يؤخر الدار الاخرة وعند احد هذين الاجلين شاي يظهر المحق من المبطل سيظهر من على الهدى ومن على الضالة سيظهر اينا خير مقاما واحسن نديا. عند ذلك الموطن - 00:24:15

يظهر اما العذاب الذي هو العذاب المعجل في الدنيا واما الساعة القيامة والمآل الى النار والعياذ بالله فسيعلمون علم اليقين في ذلك الموطن من هو شر مكانا يقابل خير مقام الاولى - 00:24:44

واضعف جندا يقابل واحسن نديا من هو شر مكانا ايهم شر المؤمنون في جنة عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين اعد الله فيها لعباده المؤمنين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر - 00:25:21

والكفار في نار وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ورد انه حبب اليهم تعذيب كفار واشقياء بني ادم كما حبب لبني ادم الطعام والشراب - 00:25:52

جعلهم الله شدادا ملائكة فسيعلمون من هو شر مكانا. فرق بين المكانين سيعلمون من هو شر هم الكفار وكانهم سيء واضعف جندا من هم اعوانهم في بدر الشيطان جاء لهم - 00:26:24

وقال اني جار لكم لما ارادوا ان يرجعوا اوشكوا ان يتخاذلوا ويرجعوا الى مكة قال لا تخافوا اقدموا وانا جار لكم وعوين لكم ورغبهم في التقدم فلما تقدموا نكص على عقبيه - 00:27:03

وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون. اني اخاف الله والله شديد العقاب هؤلاء يا اعوان الكفار واعوان المؤمنين من هم الملائكة عليهم الصلاة والسلام وقد قاتلوا مع المسلمين - 00:27:29

بانفسهم عليهم السلام قاتلوا مع المسلمين في بدر من هو شر مكانا مآلا بدل ما امتدحوا اماكنهم وبيوتهم سارت بيوتهم في الاخرة النار واذا كان في المعركة مقامهم الهزيمة والعرب - 00:27:56

لمن استطاع منهم ذلك واضعف جندا لان نقف معهم فجاء الله جل وعلا باظعف جندا مع انه ليس معهم احد معهم قبل المعركة ابليس وتخلى عنهم ولكن في مقابلة الاية السابقة - 00:28:31

اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا قال الله جل وعلا نمهلكم فترة ولا نهملكم ثم ستعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا ومكانا وجندا تمييز ومباهلة النبي صلى الله عليه وسلم لليهود في قول الله جل وعلا - 00:29:13

قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين قال الله جل وعلا ولا يتمنونه ابدا بما

قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين - 00:29:50
ومباهلته صلى الله عليه وسلم للكفار للنصارى في قوله تعالى فمن حاج ففيه من بعد ما من العلم. اي في عيسى عليه السلام فقل تعالوا ندعو ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونسائكم - 00:30:18
وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين فنقل الجميع اليهود نكلوا عن تمني الموت لانهم يعرفون انهم على الضالة وان مآلهم الى النار والنصارى نكلوا عن اللعنة لانهم يعرفون - 00:30:49
انهم انهم الا عنوا الرسول صلى الله عليه وسلم المستحقون للعنة الله وغضبه يقول الله جل وعلا ويزيد الله الذي هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى - 00:31:15
الغبطة والسعادة في الدنيا والاخرة بالايمان بالله جل وعلا والعمل الصالح وما ينفع في الدار الاخرة فليس الحال على ما يزعم الكفار ان من اعطي في الدنيا مالا وولدا فانه هو السعيد - 00:31:56
هو الفايز هو المرضي عنه وانما السعادة والفوز والفلاح في الايمان بالله جل وعلا وزيادته وهذه الاية فيها دلالة على زيادة الايمان ونقصانه كما هو مذهب اهل السنة والجماعة خلافا لبعض الفرق الضالة - 00:32:31
التي تقول ان الايمان لا يزيد ولا ينقص ويقولون ايمان افشق المسلمين مثل ايمان جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام والله جل وعلا يقول ويزيد الله الذي اهتدوا هدى فاذا حرص العبد على الطاعة - 00:33:15
اعانه الله جل وعلا على ذلك وسدد وسدده فزاد ايمانه بطاعته لله جل وعلا يقول اهل السنة والجماعة الايمان قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص المعصية فكلما اكثر العبد من الاعمال الصالحة - 00:33:51
زهد ايمانه وصلاحه وتقواه وكلما وقع المسلم في المعصية نقص ايمانه حتى يكاد ان يضمحل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى فاذا اهتدى العبد والتمس طاعة الله وبحث عما يرضي الله جل وعلا - 00:34:25
زاده الله هدى وتقى والباقيات الصالحات الباقيات الصالحات قال العلماء هي كل انواع الطاعات وقال بعضهم هي التسبيح والذكر سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فقد ورد في حديث - 00:34:59
انهن الباقيات الصالحات واولئك قالوا الباقيات الصالحات جميع الاعمال صالحة ومنها الذكر بل هو اهمها واعلاها كما قال الله جل وعلا في تعداد اصناف وصفات المسلمين والذاكرين الله كثيرا والذاكرات - 00:35:39
اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وقال جل وعلا يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقال جل وعلا ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر - 00:36:18
في النهي فعن ابي سلمة ابن عبد الرحمن رحمه الله قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاخذ عودا يابسا فحط ورقة ثم قال ان قول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله تحط الخطايا - 00:36:41
كما تحط ورق الشجر ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا ابا الدرداء. قبل ان يحال بينك وبينهن هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة لهذا الذكر هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة - 00:37:10
ويظهر والله اعلم ان ابي سلمة ابن عبد الرحمن روى الحديث هذا عن ابي الدرداء رضي الله عنه بان اه ابو سلمة هذا من من التابعين ولعله اخذه عن ابي الدرداء - 00:37:39
وكان ابو الدرداء رضي الله عنه اذا ذكر هذا الحديث قال لاهلن الله ولاكبرن الله ولاسبحن الله حتى اذا رآني حسب اني مجنون يقول ابو الدرداء رضي الله عنه الذي خاطبه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله خذهن يا ابا الدرداء - 00:38:03
هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة يقول لاسبحن ولاكبرن ولاذكرن الله حتى اذا رآني الجاهل ظن اني مجنون ايشرع ذكر الله جل وعلا دائما وابدا والله جل وعلا يقول يا ايها الذين امنوا اذكروا الله - 00:38:35
ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا ويقول صلى الله عليه وسلم عن ربه جل وعلا في الحديث القدسي من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم - 00:39:05

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا مآلها وثوابها عند الله جل وعلا عظيم وخير مردا مآلا اذا ال العبد الى ربه جل وعلا وجد الخير العظيم من الذكر الذي حصله - 00:39:26

حالة الدنيا وفي هذا رد على الكفار في افتخارهم بالمال والولد في الاية السابقة قال الذين كفروا للذين امنوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا قال الله جل وعلا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا - 00:40:02

وخير مردا اي عاقبتها خير ولا مقارنة بين ذا وذا ولكن الله جل وعلا يبين لعباده والا فهذه كلها خير وتلك افتخار المشركين لا خير فيه والله جل وعلا يظهر الادلة والبراهين لعباده - 00:40:29

ليجتهدوا في الاعمال الصالحة ويعمل ما يرضيه والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:40:56